السنة الحادية والست مئة

في جُمادى الآخرة عَزَلَ الخليفةُ ولدَه أبا نَصْر محمداً، عُدَّة الدُّنيا والدِّين عن ولاية العهد، واجتمع أربابُ الدَّولة في دار الوزير ابن مَهْدي، والقضاةُ والعلماءُ والأمراء، وأخرج الوزيرُ رقعةً بخطِّ ولي العهد إلى والده مضمونها: أَنَّه حين ولَّاه العهد لم يكن يعلم ما يجب عليه فيه ولا قدَّر ذلك، وأَنَّه سأل أباه إقالته وعَزْلَه، وأَنَّه لا يَصْلُح لذلك، وشهد عليه أبو منصور بن سعيد بن الرَّزَّاز، وأبو نَصْر أحمد بن زهير العَدْلان بذلك، وأَنَّ الخليفة أقاله، وأنشأ محمد بن محمد القُمِّي [ـ وهذا هو محمد القُمِّي هو الذي ناب في الوزارة، وعُزل في أيام المستنصر بالله، ولقبه المكين ـ][1] كتاباً إلى البُلْدان بذلك ومضمونه: أما بعد، فإنَّ أمير المؤمنين كان قَلَّد ولده أبا نَصْر محمداً ولايةَ العَهْد في المُسْلمين، ورشَّحه بعده لإمرة المؤمنين، وألقى عليه هذا القول الثقيل، ونَهَجَ له من مراشد الدِّين والدُّنْيا أوضحَ سبيل، مؤمِّلاً فيه الاستقلال بأعبائه، والإتيان بما يتبيَّن عن اضطلاعه وغَنَائه، والتخلُّق بأخلاقه التي هي من أخلاق الباري مُقْتَبَسَة، وعلى التَّقوى مُؤَسَّسة، فلما آن أوانُ رُشْده، وبلوغِ المبلغ الذي أَمَلَ فيه سَدَادَ رأيه وقَصْدِه، رأى من نَفْسه القُصور عن التزام شروطِ الخلافة، وما يجبُ عليه من الرَّحمة للأمة والرافة، فأقرَّ بالعَجْز عن تأدية حَقِّ الأُمَّة في أمره، وأشْهَدَ عليه أَنَّه لا يَصْلُحُ لها فيما مضى ولا فيما بقي من عمره، وخَلَعَ نفسه فيما كان أميرُ المؤمنين فوّض إليه، واعتمد فيه عليه، ولم يَسَعِ الخليفةَ إلا استخارةُ الله تعالى في إقالته، وطلب رضاه في حَلِّ عُقْدة ولايته، فأسقط اسمَه من السِّكَك والمنابر، والأقلام والمحابر.

ولما خَلَعَه لم يَرَ أَنْ يعيِّنَ أحداً ليلقى الله بذمَّةٍ بريئة من الآثام، غيرِ متعلِّقةٍ بوِزْرٍ يخصُّ الخاصَّ ويعُمُّ العام، وقد وافق أميرَ المؤمنين عمرَ بنَ الخَطَّاب ﷺ حيث جَعَلَها شورى في السِّتَّة المذكورين من أعيان المهاجرين، ولما قال له عبد الله ابنه: ما يمنعك أن تعيِّن مَنْ تراه أهلاً؟ فقال: لا والله، لا أتحمَّلُها حَيًّا ومَيِّتاً. وذكر كلاماً طويلاً، وكَتَبَ نُسَخاً إلى الأطراف.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

قال المصنِّف رحمه الله: وحجَّ خالي أبو محمد يوسف في هذا العام، وقرأ الكتاب بمكَّة وبالمدينة، وخاضَ أهل بغداد في السَّبب الموجب لذلك مع اتفاقِ العقلاء على أنَّه كان أهلاً للخلافة من قَبْلُ ومِنْ بَعْدُ، فقال قوم: سببه تخرُّصُ الحُسَّادِ المخالفين له في المذهب، فضربوا بينه وبين والده حتى ألجؤوه إلى هذه الحال، ومال الخليفةُ إلى ولده علي، ورشَّحه للخلافة، فاخترم في شبابه، فألجأتِ الضرورةُ إلى أن رَجَعَ الحقُّ إلى نصابه.

وفي جمادى الآخرة عقيبَ هذه الواقعة وَقَعَ حريقٌ بدار الخلافة لم يَجْرِ في الدُّنْيا مِثْلُه، فُتحت أبوابُ الدَّار في اللَّيل، وركب الوزير ابن مهدي وأربابُ الدَّولة إلى خزانة السِّلاح، فرأوا النَّار قد لعبت فيها، واجتمع جميعُ مَنْ ببغداد من السَّقَّائين والفَرَّاشين بالقِرَب والرَّوايا والصُّنَّاع والفَعَلة، وأقاموا يوماً وليلة يقلبون الماء على النَّار وهي تزداد، فاحترقَ جميعُ ما كان في الخزانة من السِّلاح، والأمتعة، والقِسِيّ، والنُّشَّاب، والرِّماح، والجروخ، والسيوف، والجواشن، والزَّرَديات، وقدور النِّفْط، والخُوَذ المرصَّعة بالجواهر واليواقيت، وعملتِ النَّارُ، وساعدها الهواء، ودَبَّتْ إلى الدُّور والتَّاج والدار البيضاء، فخرج الخليفةُ منها إلى دِجْلة، واحترقت خزانة الرؤوس: [رأس البساسيري، ورأس طغريل، وغيرهما][1]. ويقال: إنَّ قيمةَ ما ذهب ثلاثةُ آلاف ألف دينار وسبع مئة ألف دينار، وكان في ذلك عبرة [لمن اعتبر، وفكرة لمن افتكر][1].

وفيها جاءتِ الفرنج إلى حماة بغتةً، وأخذوا النساء الغسَّالات من باب البلد على العاصي، وخرج إليهم الملك المنصور بن تقيِّ الدين، وثبت، وأبلى بلاءً حسناً، وكَسَرَ الفرنجُ عسكرَه، ووقَفَ في السَّاقة من الرقيطاء إلى باب حماة، ولولا وقوفُهُ ما أبقوا من المُسْلمين أحداً.

وحج بالنَّاس من العراق وجه السَّبع، ومن الشَّام صارم الدين بُزْغُش العادلي [والي قلعة دمشق][1]، وزين الدين قراجا صاحب صَرْخَد، [وجاء أبو محمد يوسف، وقرأ عَزْلَ ولي العهد بمكة والمدينة عند قبر النبيِّ ﷺ.

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وفيها توفي

أحمد بن سَلْمان[١]

أبو العباس الحَرْبي، ويلقب بالسُّكَّر.

قرأ القرآن بالرِّوايات، وسمع الحديث الكثير، ومولده في سنة أربعين وخمس مئة، وكان صالحاً، زاهداً، عابداً، وأقام سنين في الحربية يختم القرآن كل ليلة في صلاة التراويح، وكان جاري، وكنت أصلي خلفه، وكان قنوعاً، صبوراً على الفقر، وكانت وفاته في صفر، ودفن بباب حرب، سمع أبا الوقت، وابن البطي وغيرهما، وسمعنا عليه الحديث، وكان ثقة، صدوقاً][٢].

وفيها توفي

عبد المنعم بن علي بن الصَّيْقل[٣]

أبو محمد، نجم الدين، الحَرَّاني.

قدم بغداد [[٤] أول مرة في سنة ثمان وسبعين وخمس مئة، وتفقه على أبي الفتح ابن المني] وسمع [الحديث الكثير من أبي الفتح ابن شاتيل، وأبي السعادات ابن زريق، وجدي رحمه الله، وغيرهم،]، ثم عاد إلى حران، ووعظ بها، وحصل له القبول، ثم عاد إلى بغداد فاستوطنها، ووعظ بها، [وحضرتُ مجالسه بمسجد باب المشرعة][٥]، وسمعته ينشد: [من الطويل]

وأشتاقكُمْ يا أهلَ وُدِّي وبَيْنَنا ... كما زَعَمَ البَيْنُ المُشِتُّ فراسخُ

فأما الكَرَى عن ناظري فَمُشَرَّدٌ ... وأما هواكُمْ في فؤادي فراسِخُ

---

(١) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٢/ ٥٦ـ٥٧ ، و«معرفة القراء الكبار»: ٣/ ١١٢٨ ، و«المختصر المحتاج إليه»: ١/ ١٨٢ ، و«الوافي بالوفيات»: ٦/ ٣٩٩ـ٤٠٠ ، و«غاية النهاية»: ١/ ٥٨ ، و«توضيح المشتبه»: ٥/ ١٢٥ .

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) له ترجمة في «ذيل تاريخ بغداد» لابن النجار: ١/ ١٧٢ـ١٧٣ ، و«التكملة» للمنذري: ٢/ ٥٩ ، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ١٦٦ ، و«المختصر المحتاج إليه»: ٣/ ٩٢ ، و«ذيل طبقات الحنابلة»: ٢/ ٣٦ـ٣٨ ، و«النجوم الزاهرة»: ٦/ ١٨٧ ، و«شذرات الذهب»: ٥/ ٣ـ٤ .

(٤) في (ح): قدم بغداد وتفقّه بها وسمع، ثم عاد إلى حرّان، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) في (ح): قال المصنف رحمه الله، وسمعته ينشد، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وكان[١] صالحاً ديناً، نَزِهاً عفيفاً، كيِّساً لطيفاً، متواضعاً، كثير الحياء، وكان يزور جدي، ويسمع معنا الحديث، وكانت وفاته يوم الخميس سادس عشر ربيع الأول، وصلي عليه بالنظامية، ودفن بباب حرب، وخَلَّف ولدين: النجيب عبد اللطيف، والعز عبد العزيز، فأما عبد اللطيف فكان يسمع معنا الحديث على جدي بقُطْفْتا، وأما العز فكان صغيراً، ثم تقلبت بهما الأحوال إلى أن صارا تاجرين لديوان الخليفة، وظهر منهما الثِّقة والأمانة، والعِفَّة والدِّيانة، والنَّهْضة والصِّيانة.

محمد بن سَعْد الله بن نصر[٢]

أبو نَصْر ابن الدَّجاجي، الواعظ الحنبلي.

ولد سنة أربع وعشرين وخمس مئة، وتوفي في ربيع الأول، ودُفِنَ بباب حَرْب.

قال المصنف رحمه الله: أنشدني في رباط الأخلاطية: [من الرجز]

نَفْسُ الفتى إن أَصْلَحَتْ أحوالَها ... كان إلى نَيْلِ التُّقى أحوى لها

وإنْ تَراها سَدَّدَتْ أقوالَها ... كان على حَمْلِ العُلا أقوى لها

فلو تَبَدَّتْ حالُ مَنْ لَهَا لها ... في قَبْرِهِ عند البِلَى لَهَالَهَا

الملك بن بَكْتَمُر

صاحب خِلاط، كان شابًّا لم يكن في الدُّنيا أحسنَ منه، ولم يبلغ عشرين سنة، قتله الهزار ديناري، قيل: غَرَّقه في بحر خِلاط، ثم قُتِلَ الهزار ديناري بعده، [وسنذكره في موضعه إنْ شاء الله تعالى][٣].

السنة الثَّانية وست مئة

وفيها استوزر الخليفةُ نصيرَ الدِّين ناصر بن مَهْدي العَلَوي الحسني، وخَلَعَ عليه خِلْعةَ الوِزَارة: القميصَ والدَّرَّاعة والعِمامة والسيف، وخرج من باب الحجرة، فَقُدِّمَ له

---

(١) هذه الفقرة إلى آخر هذه الترجمة من (م) و(ش)، وهي في (ح) نحوها مع اختلاف في التقديم والتأخير لبعض عباراتها.

(٢) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٢/ ٥٨ـ٥٩ ، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ١٦٦-١٦٧ ، و«المختصر المحتاج إليه»: ١/ ٥٣ ، و«الوافي بالوفيات»: ٣/ ٩١ ، و«ذيل طبقات الحنابلة»: ٢/ ٣٤ـ٣٦ ، و«النجوم الزاهرة»: ٦/ ١٨٧ .

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).